وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية / قسم اللغة العربية

بحث مقدم الى كلية التربية/ جامعة القادسية وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس

الفكر التربوي عند الجاحظ

اعداد الطالبة : زينة مرتضى حمادي
بأشراف م.د فاضل ناهي

بسم الله الرحمن الرحيم

((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) (صدق الله العلي العظيم)

شكر وتقدير

الحمد الله تتم بنعمة الصالحات ،المنعم على عباده والصلاة والسلام على سيدنا محمد ،نبي الهدى ،حامل الرسالة، مؤدي الامانة ،وعلى آلة واصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

اما بعد....اقدم شكري وتقديري الى مشرفي سعادة الدكتور فاضل ناهي على ما قدمه لي من المساعدات والتوجيهات والارشادات أو كما قال الشاعر : ان المعارف في اهل النهى ذمم .

وكما اقدم شكري الجزيل الى جميع الأساتذة في قسم اللغة العربية واخيراً ،لا يفوتني أن أشكر جميع أصدقائي وصديقاتي في قسم اللغة العربية .لعل الله يضاعف أعمالنا الحسنة ونسأل الله ان يحقق به الغرض المنشود دائماً .ويحفظنا من الزلل ، ربنا توكلنا و أليك المصير.

الأهداء

إلى الذي ينفع في غيبته كالانتفاع بالشمس إن غيبتها عن الأنظار....الأمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

الى الذين جاهدوا وهم غير مبالين أوقعوا على الموت أو وقع الموت عليهم ليحفظوا بدمائهم الأرض والعرض ....الى تلك التجاعيد المقدسة التي رسمها الزمان على تلكه الوجوه المملؤة بالحب والإيمان أمي...أبي .الى زوجي الذي أستمد منه طعم الحياة ((وائل الربيعي))

فهرست المحتويات

١- الإهداء

٢- شكر وتقدير

٣- المقدمة

٤- المبحث الاول (حياة الجاحظ)

٥- المبحث الثاني (الفكر التربوي عند الجاحظ)

٦- المبحث الثالث (قراءة في مؤلفات الجاحظ)

٧- الخاتمة

٨- قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

الحمدلله الذي انار بنوره العظيم جنبات هذا الكون الفسيح ، غافر الذنوب جميعاً ، سميع الدعاء الرحمن ، الذي سبح له ما في السماوات والارض ، الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ....

اما بعد ..

تناولت في بحثي هذا موضوعاً كثر التأليف فيه سيما من علماء التربية وعلم النفس ، فالموضوع هو التعليم عند الجاحظ وابرز آرائه ، ما كان مجموعاً منها ضمن طيات كتاب واحد او مبعثرة ضمن مجموعة كتب .تعكس هذه الآراء عقلية الجاحظ الفذة وسعة تفكيره ونبوغه ، قسم البحث لهذا الغرض على فصول ، الاول بحث في التربية العربية سواء اكانت قبل الاسلام ، والتي تمثلها الاسرة التي تعتبر من اهم الوسائل عند العرب البدو . او كانت بعد الاسلام . اما الفصل الثاني ، فيبحث عن حياة الجاحظ واهم مؤلفاته او اهم آرائه في مجال التربية او التعليم ... ومن آرائه في المعلم والكتاب والطفل .في الفصل الثالث تحدثت بشكل مفصل وواضح عن ابرز مؤلفات الجاحظ في كافة المجالات والتأكيد على اهمية هذه المؤلفات .

التربية قبل الاسلام وبعده

التربية العربية.

اولاً:- التربية قبل الاسلام

ان اغراض التربية في العصر الجاهلي تلخصت في اعداد الشيء لتحصيل ما هو ضروري لحفظ الحياة وكان يتمرن على اعمال ابائه ليسلك طريقهم في كسب العيش وتحصيل اللباس واتخاذ المسكن وليعتد على مواجهة الاعداء ومنازلة الوحوش .

وكانت التربية في العصر الجاهلي سيما عند الحضر تهدف الى تخريج الاحداث في الصناعات ، والمهن المختلفة ، كالهندسة والطب ، والبناء والنقش ، والتجارة ، وغيرها من الحرف التي تساعد على توفير الرزق وتسير العيش ، وفوق ذلك كانت التربية في ذلك الزمان الى بث العادات الفاضلة وغرس الصفات التي اشتهر بها العرب منذ القدم [١]

وكانت الاسرة اهم وسائل التربية عند العرب البدو الجاهلين وقد تشاركها في ذلك العشيرة التي تجمع افرادها اواصر النسب وروابط القرابة التي تعد صورة مبكرة للأسرة ، ان كان الطفل يأخذ عن اسرته وعشيرته طرقها الخاصة في كسب القوت واتخاذ المسكن ويتعرف من خلالها على اساليب الدفاع وطرق الاغارة على الاعداء وفنون الاعمال والصناعات ، كالصيد ، الرمي ، والقنص ..... الـــــخ [٢]

ثانياً:- التربية بعد الاسلام

اما التربية بعد الاسلام فان هذه الفترة تمتد حوالي ستة قرون ، بدءاً من القرن السابع الميلادي عند ما اشتهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، ثم انتقل سريعاً الى ربوع إمبراطوريتي الفرس والروم ، حتى القرن الثالث عشر عندما قضى على الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨ م ، فقد العالم العربي الاسلامي الكثير من مظاهر وحدته العقلية ، والروحية ، وسيطرت علية اخلاق التتر [٣]

---

[١]- التربية في الاسلام ، ص٢٩

[٢]- التربية المعاصرة ، طبيعتها وابعاده الانسانية ، ص٤٢

٣- التربية والتعليم ، ص١٦

واخذ ينحدر في طريق الاضمحلال العلمي والاقتصادي ، متأثراً في الوقت نفسة بتداعي المسلمين في الاندلس آنذاك ١

وتنقسم هذه الفترة في الواقع الى اطوار يتمركز كل واحد منها بخصائص ، وتأخذ التربية خلالها اشكال متباينة بعض الشيء ، فهناك الطور الاول ، طور نحو الاسلام في عهد الرسول صلى الله علية وسلم ، وهناك الطور الثاني ، طور الفتوحات الاسلامية ٢ التي بدأت في عهد ابي بكر اول الخلفاء الراشدين ، وقاربت نهايتها في عهد الامويين ، ومن ثم الطور الثالث ، طور تكوين الحضارة العربية ، والامتزاج بين الشعوب ، والحضارات ويبدا هذا مع بداية العصر العباسي تقريباً ويمتد حتى ظهور الاتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي ، وتدخل في هذا الطور حضارة الاندلس منذ القرن الثامن عشر الميلادي .

واما التربية في الحضر فقد كانت ارقى ، واوفى ، وفي وسعنا القول انها كانت تنقسم الى قسمين ، ابتدائية ، وعالية ٣ .

وهناك ما يدل على انه كان لكل من القسمين مدارس ، ومعاهد خاصه به ، وكان الاطفال في القسم الابتدائي يدرسون الهجاء ، والمطالعة والحساب وقواعد اللغة العربية وفن العمارة والنقش ، والآداب ، والتاريخ .

اما في طرائق التربية واساليبها ، فلم يكن للبدو الجاهلين في الغالب طرائق موضوعة ولأساليب محدده في تربية الشيء وتثقيفه وانما كان الاحداث يا خذون ما يصل اليهم من الآداب ، والمعارف ، بالتقليد والمحاكاة ، او بما يسمونه من النصائح ، والعضات التي يلقبها الاباء والامهات ، وذو العقول الراجحة من الاقرب ، ورؤساء العشائر ، او ربما يتدبرونه في الشعر الحسن من المعاني السامية والفكر المبتكرة والخلية الدقيقة (٤)

---

[١]- التربية والتعليم ، ص١٦
[٢]- التربية والتعليم ، ص٢٥-٣٠
[٣]- التربية والتعليم ، ص٣٣
[٤]- التربية عبر التاريخ ، ص٢٦١

اما الحضر منهم فقد كانت لهم في التدريس خطط موضوعة وطرائق مألوقه وكان التعليم عنهم افرادياً ، ومن طرائقهم في التعليم الخط فالمعلم يكتب على الواح من الطين الطردي ، ثم يحفظها ويقدمها للتلاميذ وقد عثر الباحثون في انقاض مدنهم على الكثير من هذه الالواح . [1]

وهناك اخيراً الطور الرابع الذي يبدأ مع ظهور الاتراك السلاجقة وينتهي بظهور قبائل المغول في اواسط اسيا في القرن الثامن عشر ميلادي ، تلك القبائل زحفت على البلاد الاسلامية كالوباء ، فأهلكت الحرث والنسل ، وقضت على الكثير من اماكن العلم ودور الكتب . وكما قضت على الخلافة العباسية في بغداد ١٣٥٨ على يد المغول (هولاكو) الذي قام على انقاض الخلافة إمبراطورية ضخمة تمتد من الهند الى اسيا الصغرى ، دامت مدة قرن تقريباً [2] .

اما اهم دور للتربية الاخلاقية الاسلامية يمكن تحديده بصورة اجمالية في كونها الوسيلة الوحيدة لبناء خير الفرد ، وخير المجتمع ، وخير حضارة والعلاقة بين هذه الجوانب وثيقة ، والغاية من هذا كلة تحقيق سعادة عامة وشاملة في المجتمع . وقد قرر الاسلام مبدأ النضج في المجتمع ، بانه ينصح كل فرد الاخر اذ راه يخالف السلوك الاخلاقي فقال علية السلام (الدين نصيحة ، قلنا لمن ؟ قال لله ورسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

ويمكن القول ان الحضارة في نظر الاسلام هي تقدم المجتمع من الناحية المادية

---

[1] - التربية عبر التاريخ ، ص٢٦٥
[2] - التربية والتعليم ، ص٣٠

المبحث الأول

((حيـاة الجــاحــظ))

الجاحظ :

(عَمْرُ بْنُ بَحْرِ بنَ مَحْبُوب)

أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم القمي أحد النسابين، قال بموت بن المزرع: الجاحظ خال أمي، وكان جد الجاحظ أسود يقال لهُ فزارهُ، وكان جمّالاً لعمر بن قلع الكناني. وقال ابو القاسم البلخي الجاحظ كناني من أهل البصرة ، وكان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره ، وعلا قدرهُ واستغنى عن الوصف قال المرزُباني : حدث المادي قال: حدثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان. قال الجاحظ : أنا أسن من أبي نواس بسنةٍ ، ولدت في اول سنة خمسين ومائةٍ وولد في آخرها. مات الجاحظ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين، سمع من ابي عبيدة (١) والأصمعي وأبي زيد الانصاري وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقهُ، وأخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد، وحدثت ان الجاحظ قال: نسيت كنيتي ثلاث أيام حتى أتيت اهلي فقلت لهم: بم أكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان (٢). وحدث ابو هفان قال: لم أرَ قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فأنهُ لم يقع بيدهُ كتاب قط الا أستوفى قراءتهُ كائناً ما كان، حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر . والفتح بن خاقان، فانه كان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد القيم لحاجته أخرج كتاباً من كمهِ أو خفِّهِ وقرأهُ في مجلس المتوكل الى حين عودةِ إليه حتى في الخلاء (٣). واسماعيل ابن أسحاق القاضي فاني دخلت إليه إلا رأيتهُ ينظر في كتاب او يعقب كتاباً او ينقضها. وقال المزرباني: قال أبو بكر أحمد بن علي : كان أبوعثمان الجاحظ من أصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام ، (٤) كثير التبحر فيهِ شديد الضبط لحدودهِ، ومن أعلم الناس بهِ وبغيرهِ من علوم الدين والدنيا، ولهُ كتب كثير مشهورة جليلة في نصرة الدين، وفي حكاية مذهب المخالفين، وفي الآداب والأخلاق، وفي ضروبٍ من الجد والهزل

---

(١) معجم الأدباء "ياقوت الحموي" : ٧٤/١٦.
(٢) معجم الادباء (ياقوت الحموي) : ٧٤/١٦ .
(٣) معجم الادباء (ياقوت الحموي) : ٧٢/١٦
(٤) معجم الادباء (ياقوت الحموي) ج ١٦ ص ٧٥

ولقد تداولها الناس وقرؤُها وعرفوا فضلها. وإذا تدبر العاقل المميَّز أمر كتبهِ علم انه ليس من تلقيح العقول وشحذ الاذهان ومعرفة الكلام وجواهرهِ وايصال خلاف الاسلام ومذاهب الاعتزال الى القلوب كتب مد وايصال خلافِ الاسلام ومذاهب الأعتزال الى القلوب – كتب مد تشبهها، والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميُّزون الأمور. قال المرزباني: وكان الجاحظ لمحمد بن عبد الملك خاصاً به، وكان منحرفاً عن احمد بن أبي داود للعداوة بين أحمد ومحمد: ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له: لم هربت: فقال: خفت ان أكون ثاني أثنين إذ هما في التنور ، يريد ما صنع بمحمد وإذا اخا لهُ تنور حديد فيه مسامير كان هو صنعهُ ليعذب الناس فيهِ، فعذب هو فيهِ حتى مات "يعني محمد بن الزيات" (١)

وحدث علي بن محمد الوراق قال: من كتاب الجاحظ الى ابن الزيات: "لا والله، ما عالج الناس داءً قط أدوى من الغيظ، ولا رأيت شيئاً هو انفذ من شماته الأعداء ، ولا أعلم باباً أجمع لخصال المكروه من الذل، ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجوهُ والمبتلى ما دام يجد من يرثى لهُ، فهو على سبب دركٍ وإن تطاولت به الأيام، فكم من كربةٍ فادحةٍ، وضيقةٍ مصمتةٍ فتحت اقفالها وفككت اغلالها ، ومهما قصرت فيه فلم أقصر في المعرفة بعضك ، وفي حسن النية بيني وبينك، لا مشتت الهوى ولا مقسم الأول، على تقصير قد احتملتهُ، وتفريط قد أغتفرتهُ، ولعل ذلك ان يكون من ديون الإدلاء وجرائم الاغفال ، ومهما كان من ذلك فلن اجمع بين الإساءة والانكار، وإن كنت كما تصفُ من التقصيروكما تعرف من التفريط فإنى شاكري أهَل هذا الزمان، وحسن الحال متوسط المذهب، وأنا أحمد الله على ان كانت مرتبتك من المنَعمين فوق مرتبتي في الشاكرين [٢].

وقد كانت عليَّ بك نعمةٌ اذاقتني طعم العز، وعودتني روح الكفاية، ولون هذا الدهر وجهدهُ، ولما مسخ زماننا لم نترك فيه مشابه من الأزمان (٣).

ثم اخذ يتردد على المسجد والمربد، وفي المسجد حلقات العلماء يوزعون كلمة العلم على طُلابه، وفي المربد، وهو منحلّة عظيمة من محالِّ البصرة، كانت فيها

---

[١] معجم الادباء (ياقوت الحموي) : ٧٦/١٦.
[٢] معجم الأدباء " ياقوت الحموي" ج ١٦ ص ٧٧
[٣] معجم الأدباء "ياقوت الحموي" ج١٦ ص ٧٨

مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ، وكان الجاحظ فتى الرغبة العلمية الملحَّة ، يستقي المعرفة من شتى ينابيعها ويضيف الى ذلك كلهُ اكتراء الحوانيت ويسجن نفسه فيها للمطالعة والتحصيل وجمعاً للكتب والاوراق في غير حساب، معتمداً على نفقتهُ على امُ ترملت وضاقت بها سبل العيش، وقد ألهمها انصراف ابنها الى العلم دون العمل، وقد قصد بغداد للتزيد من العلم، وكانت بغداد في عهدي الرشيد وأبنه المأمون في أوج الأزدهار الأقتصادي والثقافي ، وقد احتشد فيها العلماء كما احتشدوا في البصرة والكوفة، وأشتد فيها النزاع بين الملل والنحل (١). ولاسيما في عهد المأمون الذي انحرف الى المعتزلة وأعطى حرية النقاش الفلسفي والعلمي والديني، والجدير بالذكر أن الجاحظ احتك بعدد كبير من العلماء وأخذ عنهم وناقشهم، كالأصمعي شيخ اللغة والأخبار والنوادر، وأبي زيد الأنصاري إمام الأدب واللغة، والأخفش سيد اهل النحو. وكان الجاحظ ميالاً منذ حداثته ، الى تحكيم العقل ، فعندما بلغ اعتنق مذهب المعتزلة لأصحاب الرأي . وكان لأبي اسحق أبراهيم بن سيّار النظام شيخ المعتزلة أثر في هذا التوجيه ، تتلمذ له الجاحظ وترك لنا في اجمل الأقوال.

والجدير بالذكر أن للنظام مذهباً عقلياً في التفسير، وقد نبه على خط المفسرين والرواة، وقد هاجمهم في عنف لأنهم يفسدون المعاني والاقوال ورأى طريقاً في الشك طريقاً الى اليقين، وآثر البحث والتحري على الانقياد دون التقليد. وهكذا فعل الجاحظ، فكان رجل العلم والفلسفة والأدب كما كان الرجل الموسوعي الذي جمع في صورة ثقافة العرب واليونان والفرس وغيرهم. لقب الجاحظ بـ (أمير الكتابة) وعندما ذاع صيته بين الخاص والعام وأنشأ فرقة معتزلة بأسم الجاحظيَّة ، استدعاه المأمون وصدّره في ديوان الرسائل، ولكنه استنحى (٢).

---

(١) معجم الادباء (ياقوت الحموي) : ٧٨/١٦.
(٢) الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص ٥٥٣.

شخصيتهُ :

قال ابو القاسم البلخي:" كان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره وعلا قدرهُ ، وأستغنى عن الوصف " وكان رجل العلم والعمل حدث أبو هفان قال: " لم أر قط ولا سمعت من أحب لكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فأنّهُ لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءتهُ كائناً ما كان، حتى انه كان يكتري الدكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر.

وقال المرزباني : " كان ابو عثمان الجاحظ من اصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام ، كثير التبحر فيه، شديد الضبط لحدوده، ومن اعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا." وقال ثابت بن حَرة: "جَمَعَ الجاحظ" بين اللسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والأدب ، وبين النثر والنظم وبين الذكاء والفهم .... ولقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب". (١)

ثقافتهُ :

كانت ثقافتهُ موسوعية تناول كل فن وكل مطلب وقلما نجد فرعاً من فروع الأدب والمعرفة لم يبحر فيه لسانه وقلمه. وهكذا أجمع ما بين علم الأقدمين وعلم المحدثين وكان الجاحظ رجل انفتاح نزاعاً الى التجديد فهو لا يرى بأساً بأن يدخل العربية عنصر من عناصر الأدب لأمم المعروفة في عصرهُ، المشهورة بالعلم والحِكَم ، والاخلاق والآداب." كان رجل طموح الذي اراد ان ينافس اكثر الكتاب والمفكرين ، وان يعالج كل موضوع وضده، وأن ينشئ في الاعتزال فرقة عرفت بالجاحظية وعندما. استعفى من رئاسة الديوان عند المأمون أعلن للملأ انه اراد ان يكون آمراً لا مأمورا ، وحراً غير مقيد ، وقد قال في كتاب الحيوان :" وليس شيء الذ ولا اسر من عز الأمور (٢) والنهي ، ومن الظفر بالاعداء ، ومن عقد المنن في اعناق الرجال، والسرور بالرئاسة وثمرة السيادة".

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص ٥٥٥.
(٢)الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص /٥٥٥

ادبهُ :

وهو رجل علم عظيم واراد ان ينافس رجال العلم والتصنيف في عصره ولاسيما ابو عبيدة معمر ابن المثنى البصري الذي وضح نحو مئتي مصنف والذي قال فيه الجاحظ :" لم يكن في الأرض خارجي ولأجماعي أعلم يجمع العلم منهُ" وأبو الحسن علي بن محمد المدائني الذي وضع اكثر من مئتي مصنف ، وهشام بن محمد الكعبي الكوفي الذي وضع نحو مئة وتسعة وثلاثين مؤلفاً.

وقد ذكر الجاحظ نحو ثلاثمائة وستين مصنفاً في شتى فروع المعرفة حتى قال فيه المسعودي :" ولا يعلم احد من الرواة اهل العلم أكثر كتباً منه". ولا يخلو هذا من مغالاة ، وقد تكون مؤلفات الجاحظ نحو مائة وسبعين كتاباً. ومهما يكن من أمر فان ابو عثمان بحر لا يتوقف على ساحله، ولكن الأيام قد عبثت بتلك الآثار فلم يصل الينا منها.

أثْارهُ :

كتاب الحيوان ، ٢. كتاب البيان والتبين ، ٣. كتاب البخلاء ، ٤. رسالة التربيعَ والتدوير . (١)

فكتاب الحيوان هو كتاب علم وتاريخ وأدب كان الأول من نوعه عند العرب، وكانت مصادر الكتاب "الحيوان" كتاب "الحيوان" لأرسطو، وأشعار العرب وكتب علماء العرب في الحيوان، ثم خبرة الجاحظ وتجاربه العلمية. وهو موسوعة واسعة . صورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي في مشعب أغراضها. أما بالنسبة لقيمة الكتاب : هو علم لباس الآداب، أو هو أدب موضوعه العلم. وكان اسلوبه اسلوب علمي أدبي. فيه من العلم نحَّر، وأخبار، وشكّ، ومقارنة، وتحكيم العقل .... وفيه من الأدب قصص، واستطراد ، وجد وهزل ، وتشويق ، وفيه نزعة جاحظية من خفة روح، واقعية ، دقة ، تخير ألفاظ ، عبارة حيه ، قصيرة .... (٢)

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص /٥٥٦

(٢) الجامع في تاريخ الادب العربي القديم ص /٥٥١

- أما كتاب البخلاء وضعه الجاحظ طلباً للمنفعه العامة. فكان الكتاب خلاصة خبرة صاحبه ومجموعة معلوماته ، وصورة لناحية البخل والأقتصاد في المجتمع. أتبع فيه منهج القصص والفكاهة والتهكم. أما بالنسبة لقيمته فهو دراسة عميقة لنفسية البخلاء ، اقوال البخلاء حافلة بالمعارف الأجتماعية والسيكلوجية والأقتصادية وكذلك تحتوي قيمته على مقدرة عجيبة تغلغل بين طويا النفس البشرية ، جمع بين النظر والتطبيق وكذلك فيه روح مرحة، فكاهة ، حوار مسرحي ...

- أما كتاب البيان والتبين : فهو كتاب ادب وضعهُ الجاحظ في أواخر أيامه لتنشئة الكتَّاب على الاساليب القوية. فقد عالج فيه موضوع الخطابة، وعيوب الخطيب ، ثم عالج انواع الدلالات ، ثم رد على الشعوبية ، وأسهب في الكلام على البلاغة . أما بالنسبة لقيمته فهو: بعد اول العلوم والمحاولات للتصنيف في علوم البلاغة . وهو مصدر من مصادر تاريخ الأدب العربي، وفيه نظرات قيمة في النقد.

- أما رسالة التربيع والتدوير : فكان الجاحظ فيها رجل نقاش كلامي، ومقدرة في تصريف اللغة في ما يريد تصريفاً عجيباً. [١] فكان الجاحظ رجل جد وهزل وسخرية تنظر الى المجتمع نظرة واقع، فيعالجه بالجد طوراً وبالهزل طوراً اخرى. قال ثابت بن قرة:" الجاحظ شيخ المتكلمين .... ان تكلم حكى سبحان في الباغة ،وا ناضر ضارع النظام في الجدال ، وان جد خرج في مسك عامر بن عبد قيس ، وان هزل زاد على مزيدٍ حبيب القلوب ومزاج الأرواح .... الخلفاء تعرفهُ، والأمراء تصافيه وتنادمه " وكذلك فهو رجل اعتمد على النفس يصدق عند كل عمل فيه ملقٌ وتزلف ومذله ، ويميل الى كل عمل فيه تمرد واعتماد على العقل. قال الجاحظ:" اذا سمعت الرجل يقول : اترك الاولُ للاخر شيئاً . فاعلم انهُ ما يريد ان يفلح." (٢)

---

[١] الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص /٥٥٢

[٢] الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص /٥٥٦/

وفاتهُ :

أصيب الجاحظ بالفالج ، وكان قد بلغ مايقارب الخامسة والسبعين من العمر . وكان سلطان الأتراك قد بلغ اقصاه ما ستبدوا باموال الخلافة وإدارتها وجيشها ، ولم يستطع المتوكل ان يضعف شوكتهم. وفي تلك الأثناء أستدعى الخليفة الفتح بن خاقان، وهو من أصل تركي، واستوزره، وكانت مشاهرات. ولهذا الوزير قدم، الجاحظ كتاب "مناقب الترك وعامة جند الخلافة". وقد روي في سر من رأى وهو في الثمانين من العمر، وفي سنة ٨٦١ كان في البصرة ، وكان قد اصيب ايضاً بداء النقرس. وكان أبو عثمان ، في هذه المرحلة كلها منشغلاً بالأمة ، وكان الناس منشغلين فيه ، وظل كذلك الى ان وقعت عليه مجلداتهُ المصفوفة، وهو عليل، فقتلتهُ . وكان موته بالبصرة سنة ٨٦٨م / ٢٥٥ هـ وهكذا كانت حياة الجاحظ من كتاب الى كتاب الى ان دفن تحت الكتب.[١]

---

[١] الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ص /٥٥٤/

المبحث الثانــي
((الفكر التربوي عند الجاحظ))

الفكر التربوي عند الجاحظ

المتتبع لمؤلفات الجاحظ العديدة يعجب من سعة اطلاع هذا الرجل ، ويقف حائراً أمام الأساليب العلمية التي اختطها لنفسه في منهاج التأليف والكتابة، وتنوع لمعارفه ، وعمق ثقافته مما جعلته يهدي عطاء خصب للناطقين بالضاد. (١) وهو يختط لنفسه منهاجاً علمياً ،وهو يستهل أي موضوع يتناوله بالتقسيم والتحديد والتعريف بغية الإبانة والوضوح .وهو بذلك معلم كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي توفر له العلم فأتقن مهنة التعليم وكيف يتجه الى طالب العلم. (٢) ومن هنا نحاول ان ندرس الفكر التربوي للجاحظ من خلال رسائله وآرائه في اهمية العلم والتعلم، ومواصفات العالم ،والأدب والاخلاق . ويمكن تحديد البحث مع الافكار الأساسية في الفكر التربوي عند الجاحظ في المجالات التالية :-

١- المعلم :

لقد أولى الجاحظ المعلم في كتاباته اهتماماً كبيرا وعده المحور الأساس في التأديب والأخلاق ، وقد كتب عن شريحة المعلمين في عصره ،واوضاعهم ،ونظرة الناس لهم ،والدور الخطير الذي يضطلعون به في التربية ، ونقل الثقافة عبر الأجيال ،فكتب رسالة بالمعلمين يقول فيها :فالأدب يعني الاخلاق كما يعني رواية العلم او نقله بين الأجيال بواسطة المؤدب او المعلم والكتاب . (٣)

---

(١)الجاحظ ريادة البحث العلمي/ عادل محمد علي (بحث في مجلة المورد العدد الرابع ١٩٧٨) ص٢٥
(٢) الجاحظ وعلم اللغة / د. إبراهيم السامرائي (بحث في مجلة المورد العدد الرابع ١٩٧٨) ص١١
(٣) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٥

ويذكر الجاحظ (ان اكثر العظماء والنوابغ كانوا معلمين، وهذا ما نتحقق اذا استعرضنا اسماء النحويين والعروضين والفرضيين والحساب والخطاطين والرواة والقضاة والحكماء والولاة والقادة والرؤساء والكتاب والشعراء والوزراء والادباء.) [١]

ويقول الجاحظ (إن جميع العلوم إنما تنتقل بين الاجيال بواسطة المعلمين، من حساب وفرائض وقرآن ونحو وعروض واشعار واخبار وآثار، ثم الفروسية والنجوم واللحون والطب والهندسة والنرد والشطرنج والفلاحة والتجارة والبناء والصياغة والخياطة والصباغة والحياكة، وترويض الحيوانات المختلفة من قرود ودببة وكلاب وظباء وببغاء وصقور ودواب.) [٢]

---

(١) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٨
(٢) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٨

٢- أسلوب التعليم

كان أسلوب الجاحظ أسلوب حياة من غير تقيد ولا ضغط ولا تمويه ، ولذلك نراه واقعياً في ما يكتب ، يحكي الواقع في غير تحفظ ولا مداورة ، فيذكر السوءات والعورات وكما يذكر الفضائل والحسنات في جرأة وصراحة ولا تشعر معها بغرابة او بجهد ،ومذهبه في ذلك ان الأدب صورة للواقع ، ولسان الحياة في شتى حركاتها ونزعاتها . وقد قادته واقعيته الى التدقيق في الألفاظ واختيارها بحيث تلائم مع المعنى حتى انه ليحكي كلام المولدين والعوام بما فيه من لحن وخطأ لينقل اليك الواقع بكل ما فيه (١)

ولا ينبغي أسلوب التعليم أن يقوم على التلقين والحفظ بل يجب أن ينمي القدرة على الاستنباط والتفكير لدى الناشئة، لأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلدا، اما الاستنباط فيؤدي بصاحبه الى الخلق والابداع ويوصله الى الحقيقة. ان طبيعة الحفظ تختلف عن طبيعة الاستنباط وان كان الموضوع واحدا. وكلاهما يعتمدان فراغ القلب والشهوة الى المعرفة. ويختص الحفظ بشيئين هما الموضع و الوقت. فالمكان الهادىء الخالي افضل من المكان المكتظ والصاخب. ووقت الاسحار افضل من سائر اوقات النهار والليل. (٢)

ويرشد الجاحظ معلم اللغة العربية الى الطريقة المثلى في تعليم القراءة والكتابة ، اذ يقول : وجوب الاقتصار في تدريس مادة النحو على القدر الذي يفضي به الى السلامة من فاحش اللحن، ويمكنه من القراءة الصحيحة والانشاد المستقيم. ومنها مراعاة الطبيعة والفصاحة في الكتابة والاختصار واستكراه العبارة المعقدة والالفاظ الوحشية الغريبة. والاهتمام بالمعاني اكثر من الالفاظ. وضرورة مراعاة المعلم مستوى الصبي العقلي والنزول الى مستواه ليتمكن من افهامه مادة التعليم. (٣)

---

(١) الجامع في الأدب العربي القديم / ص٥٧٧
(٢) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٧
(٣) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٩

٣-المنـهـج :

أعتمد الجاحظ المنهج العلمي والتجريبي في دراساته بهدف الوصول الى الحقائق والمعلومات ، مستنداً على المشاهدة والمعاينة . وهذا ما أكده الأستاذ عادل محمد علي في بحثه الذي تحت عنوان{ الجاحظ وريادة البحث العلمي } .ولقد اختط الجاحظ لنفسه منهجاً علمياً في مجال دراسته للعلوم عامة الى حيوان خاصة ، فهو يستهل اي موضوع يتناوله بالتقسيم وتحديد والتعريف بغية الابانة والوضوح فيبدأ بتقسيم الكائنات بهذا الشكل : ((ان العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء :متفق ،مختلف، متضاد)) (١) ثم يقدم تقسيمات اكثر دقه وتفصيلاً ،فيقسم الكائنات الحي الى قسمين :حيوان ونبات ثم يقسم الحيوان الى اربع اقسام شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينسلخ. ويحاول ان يعطي لتقسيمه هذا علميه اكثر حيث يقول:

(الا ان كل طائر يمشي و ليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً) (٢)

(١)الجاحظ ريادة البحث العلمي/ عادل محمد علي (بحث في مجلة المورد العدد الرابع ١٩٧٨) ص٢٥
(٢)الجاحظ ريادة البحث العلمي/ عادل محمد علي (بحث في مجلة المورد العدد الرابع ١٩٧٨) ص٢٦

٤-الكتاب وحب العلم والمعرفة :

أكد الجاحظ قيمة و أهمية الكتاب كونه خير وسيله لتبشير بالعلم والمعرفة ، فوصفة قيمة الكتاب أثره في الحفاظ على كنوز العلم المعرف ، من جهة تزويد الناس بالعلوم والمعارف والأخلاق ،فضلاً عن كونه مرشد الى الطريق الصحيح ويقول الجاحظ :ان قراءة الكتب افضل من المشافهة لان المشافهة تؤدي الى الجدل والخصام ، ولان الكتاب يقرا من كل زمان ومكان فيقول: ((أعلم أنّ قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم، إذ كان مع التلاقي يكثر التّظالم، وتفرط النّصرة، وتشتدّ الحميّة. وعند المواجهة يفرط حبّ الغلبة، وشهوة المباهاة والرّياسة، مع الاستحياء من الرجوع، والأنفة من الخضوع. وعن جميع ذلك تحدث الضّغائن، ويظهر التّباين. وإذا كانت القلوب على هذه الصّفة وهذه الحلية، امتنعت من المعرفة، وعميت عن الدّلالة.))(١) ويشير الجاحظ الى ضرورة قراءة كتب الأوائل في كتبها، وخلّدت من عجيب حكمها، ودوّنت من أنواع سيرها؛ حتّى شاهدنا بها ما غاب عنا، وفتحنا بها المستغلق علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلّا بهم لقد خسّ حظّنا في الحكمة، وانقطع سببنا من المعرفة، وقصرت الهمّة، وضعفت النيّة، فاعتقم الرّأي وماتت الخواطر، ونبا العقل. (٢)

---

(١) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٤٩

(٢) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٥٠

٥-التربية الجسدية :

يرى الجاحظ ان في الانسان قوانين تتصارعان هما العقل والشهوة .ولا يكون حراً إلا إذا كان مستطيعاً والاستطاعة تفرض شروطا هي: صحة الجسم ، واعتدال المزاج، والمعرفة بالأمور .... ويربط الجاحظ العلم بالعقل والروح والبدن ربطاً محكماً ويزن مقاديرها وبذلك يقول : والعلم وإن كان حياة العقل، كما أنّ العقل حياة الروح، والرّوح حياة البدن، فإنّ حكمه حكم الماء وجميع الغذاء، الذي إذا فضل عن مقدار الحاجة عاد ذلك ضررا. وإنّما يسوغ الشّراب ويستمرأ الطّعام الأوّل فالأوّل. فكذلك العلم يجري مجراه، ويذهب مذهبه.[١]

(١) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٥٢

٦-التربية العقلية :

تبنى الجاحظ العقلي الاتجاه العقلي عندما كان يتناول اي موضوع للدراسة وكان هذا الاتجاه اسلوبه في التفكير والبحث. وحذر من اطلاق العنان للهوى في دراسة الموضوعات ، والحكم على الامور . وقيد الجاحظ حرية الاتجاه العقلي وهو يرى ان العقل غريزة كسائر الغرائز ، تعمل دون ان تخضع لأراده . والمعرفة تتم بالطبع والغريزة وليس للإرادة سوى حصر الانتباه في الموضع ، وعمل الفصل خارج عن نطاق الارادة . (١)
يرى الجاحظ ان العقل الذي يجزم اللسان ،ويعقله عن ان يمضى فرطاً في سبيل الجهل والخطأ والمضرة ..... فقيمة الانسان عند الجاحظ في عقله ولسانه(٢)

---

(١) رسائل الجاحظ / الرسائل الكلامية / ص١٨-١٩
(٢) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٨٨-٨٩

٧-التربية الخلقية :

لقد سبر الجاحظ اغوار النفس البشرية التي عدها منبع الاخلاق وبذلك يقول: (الاخلاق طباع)و(ان المعارف طباع) وذهب الى ان سلوك الانسان يرد الى طابعين هما : الرغبة والرهبة وعنهما تصدر جميع الصفات .....وقد بينه الجاحظ مدى تأثر البيئة في خلق الانسان ولغته وعواطفه وبهذا يفسر اخلاف الناس في ميولهم واعمالهم فيقول : (لو اجمعوا كلهم على اختيار الشيء الواحد ، لوقع التغالب والتحارب بينهم ....فالله سبحانه وتعالى اراد ان يجعل الأخلاف سبباً الاتفاق) (١) وقد رتب الجاحظ مجموعه من القيم الأخلاقية وفق قاعدة الاضواء ليبين ما هو صالح ونتائجه ، وما هو طالح غير محمود ونتائجه ، وهي تصلح ان تكون مادة التربية الأخلاقية فهو يقول : (المنفعة توجب المحبة ، والمضرة توجب البغضاء والمضادة توجب العداوة وخلاف الهوى الكره والصبر...) (٢)

---

(١) رسائل الجاحظ / الرسائل الكلامية / ص١٣٧

(٢) رسائل الجاحظ / الرسائل السياسية / ص٧٧

٨-التربية الفنية(الجمالية) :

حدد جاحظ رأيه في الجمال بأنه : التمام والاعتدال وادراكه ، فلا يكفي النظر والاحساس ،ولابد للعقل يصدر الحكم ، وبهذا أتفق مع ارسطو الذي حدد الجمال بأنه (المقدار والتوازن) (١) وقد اباح الجاحظ الاستمتاع بالجمال وعده المبدأ العام يتمتع به الانسان الى وحده في المرأة ، او في الطبيعة او في الفنون المختلفة ومنها الغناء .

اما رايه في الحب فهوا يرى انه هناك حب الى القرابة ،وحب الأموال ، وحب المراتب الرفيعة ، وحب المعروف ،وحب المرأة ،وحدد الجاحظ الحب بثلاثة مستويات : الحب ،الهوى ، العشق . (٢)

٩-المرأه :

من المربين الذين انصفوا المرأة ، ونادوا بمنحها حريتها وحقوقها ، وكان ينتقد الذين يحتقرون المرأة ويبخسون حقوقها ...وبحقهم يقول : (ولكننا رأينا ناساً يزرون عليهن أشد الرزاية ، ويحتقرونهن اشد الاحتقار ويبخسونهن اكثر حقوقهن . (٣) وحث الجاحظ على الزواج وانجاب الأطفال واسندها بأحاديث عديده تحث على الزواج منها قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم : (تزوجوا فأني مكاثر بكم الأمم) (٤). وقد عالج الجاحظ هذا الموضوع معالجه اجتماعية ونفسية ،وخلقيه بهدف استئصال الانحرافات الخلقية الشاذة

---

(١) رسائل الجاحظ / الرسائل السياسية / ص١١
(٢) رسائل الجاحظ / الرسائل الكلامية / ص٧٧-٧٨
(٣) رسائل الجاحظ / الرسائل الكلامية / ص١٤
(٤) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٢٣١٠-

١٠- الوطن :

يؤكد الجاحظ ان حب الوطن طبع في الناس ، وهم يألفون لمكان الذي يقمون فيه ، ويدافعون عنه ، وكذلك تالف الحيوانات المكان الذي تقيم بيه ، والاوطان تعمر وتصان بحب الناس لها . ويرى الجاحظ ان العرب امة واحدة ، وبحكم الارض الواحدة ، واللغة الواحدة والاخلاق والسجايا ... وبذلك يقول : (ان العرب لما كانت واحده ،واستووا وفي التربة وفي اللغة وفي الهمه وفي الحميه ، وفي الاخلاق وسجيه فسبكوا سبكاً واحداً وافرغوا افراغاً واحداً ، وكان القالب واحداً ، تشابهت الاجزاء ، وتناسبت الاخلاط ، وحين صار ذلك اشد تشابهاً في باب الامم ، والاخص في باب الوفاق ، والمباينة من بعض ذوي الارحام ،جرى عليهم حكم الاتفاق في الحب ،وصارت هذا الاسباب ولاده اخرى حتى تناكحوا عليه وتصاهروا من اجلها) (١) . وبذلك يمكن القول ان الجاحظ كان بمثابة دائرة معارف لم يترك علما من العلوم لا وتناوله في البحث ودراسة وكتب فيهاو علق عليه ،او رده بما يمليه عليه منهجه العلمي التجريبي وثقافته الموسوعية ،وعقليته المتوهجة الوقادة

(١) رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية / ص٤٧٧

المبحث الثالث

((قراءة في منهج الجاحظ و مؤلفاته))

قراءة في مؤلفات الجاحظ :

انه لمن الصعب جمع مؤلفات الجاحظ في فئات مرتبة على حساب مادتها لان الكثير منها مختلف الموضوعات ، متعدد المعاني . ومن ثم كان تقسيمنا الثاني لأثار الجاحظ على وجه التغليب .

١- في الفلسفة والاعتزال والدين :

((كتاب الاستطاعة خلق الافعال)) (وضعهُ الجاحظ لتقرير مذهب الاعتزال) ، ((كتاب وفضلة)) (ولعل هذا الكتاب هو المسمى ايضاً ((فضيلة المعتزل))) والذي رد علية ابن الراوندي بكتابه الذي سماه ((فضيحة المعتزلة)) ، ((كتاب خلق القران)) ، ((كتاب اي القران)) ، ((كتاب الاحتجاج لنظم القران)) ، ((كتاب وجوب الامامة)) ، ((كتاب الرد على اليهود)) ، ((كتاب الرد على المشبهة)) ..... ((كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير)) (يبحث في تعليل الاشياء الطبيعة وماهي الكائنات من الدلائل على وجود الصانع) .

٢- في السياسة والاقتصاد :

((كتاب الاستبداد والمشارة في الحرب)) ، ((رسالة في مناصب الترك وعامة جند الخلافة)) .

((رسالة في الخراج)) ، ((كتاب اقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات)) ، ((كتاب الزرع والنخل والزيتون والاعناب)) .

٣- في الاجتماع والاخلاق : من اثار الجاحظ في ذلك :

((رسالة في اثم السكر)) ، ((كتاب اخلاق الشطّار)) ،(كتاب اخلاق الفتيان وفضائل اهل البطالة) ((كتاب خصومة الحول والحور)) . ((كتاب الدخلاء))

٤- في التاريخ والجغرافية والطبيعيات والرياضيات

((كتاب الاخبار وكيف تصبح)) كتاب الملوك والامم السابقة والباقية)) .....

((كتاب الامطار)) ، ((رسالة في الكيمياء)) ، ((كتاب المعادن)) ، كتاب نقض الطب)) ، رسالة في القيان)) ، كتاب في طبقات المغنين .

((كتاب الحيوان)) ، ((كتاب الكلاب)) ، ((كتاب الاسد والذئب)) .....

٥- في الحصبية وتأثير البيئة :
((كتاب القحطانية والمعدنية)) ، ((كتاب العرب والعجم)) ، ((كتب العرب الموالي)) .
((رسالة في فخر السودان على البيضان)) ، ((كتاب مفاخرة السودان والحمران)) ....
٦- في الادب والشعر والعلوم اللسانية والادبية :
((كتاب البيان والتبين)) ، ((كتاب المحاسن والاضرار والعجائب والغرائب)) ، ((كتب عناصر الآداب)) . [١]
أ- كتاب الحيوان
١- ما هو كتاب الحيوان
كانت الحكمة من العصور القديمة تنظر الى الكائنات في مجملها ، وكان العقل البشري يحاول عندما تنفتح على ظاهرات الوجود ، ان يفهم الكون باسره ، ولهذا كانت نزعة الفلسفة في بدء امرها نزعة شمولية ، تشمل جميع العلوم وجميع المعارف ، وتنطلق من المحسوس الى اللامحسوس . فندرس علوم الطبيعة وعلوم ما وراء الطبيعة . ولهذا كتب كبار الفلاسفة عند اليونان في مادة الطبيعة وتناولوا فيها العناصر الجوهرية ، وكما تناولوا عالم الحيوان وعالم الانسان . وهكذا وضع ارسطو وغيره كتاباً في الحيوان قال صاحب ((كشف الظنون)) متكلماً على علم الحيوان : ((وفيه كتب قديمة واسلامية ، منها كتاب الحيوان الديمداطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعة ، وكتاب الارسطو طاليس ، تسع عشر مقالة ،
نقله ابن البطريق من اليوناني الى العربي ،[٢] وقد يوجد سريانياً نقلاً قديماً ، اجود من العربي . ولأرسطو ايضاً كتاب في نعت الحيوان الغير ناطق ، وما في من المنافع والمضار)) .

---
[١]- كتاب الامع في تاريخ الادب العربي القديم ، ص٥٥٧
[٢]-الجامع في تاريخ الادب العربي القديم ، ص٥٥٨

ولما كان الجاحظ من اصحاب الثقافة اليونانية ، فضلاً عن الثقافة العربية ، راح يكتب في مكاتب اليونان بطريقة شمولية ، فوضع كتاباً في الحيوان ، وكان اول واضع لكتاب عربي جامع في هذا العالم . الا انه اتبع طريقته الاستطردية نظراً الى عقلية انباء عصرة ، والى قلة جلدهم على تتبع الموضوع الواحد والمادة الطويلة في معنى واحد ، وذلك على حد ما صرح به هو نفسة في مقدمة كتابة اذ قال ((ان حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب مُرّ الحق وصعوبة الجدّ ، ثقل المؤونة ، وحيلة الوقار ، لم يصبر علية مع طولة الا من تجرد للعلم ، وفهم معناه ، وذاق من ثمرته ، واستشعر قلبه من عزّه ، ونال سروره على حسن ما يورث الطول من الكد ، والكثرة من السامة ، وما اكثر من يعتاد الى خطة بالسواجير ، وبالسوق العنيف ، وبالإضافة الشديدة))

٢- مصادر كتاب الحيوان كثيرة منه ما هو جنبي وما هو عربي . اما المصادر الاجنبية فاهمها كتاب ارسطو في نفس الموضوع . وقد اطلع عليه الجاحظ واكثر من ذكرهُ في كتابه ، ورد بعض اقواله .

واما المصادر العربية فمنها الشعر العربي الذي سجل فيه الشعراء اخبار الحيوان الوحشي والاليف ، واطالوا فيه كلامهم على الابل والخيل والاسد وغيرها ، وقد قال الجاحظ : ((وقلّ معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الاطباء والمتكلمين الا ونحن قد وجدناه او قريباً منه في اشعار العرب والاعراب)) ومن تلك المصادر العربية ما حاوله جماعة من العلماء قبل الجاحظ وفي عصره اذا وضعوا كتباً في الابل والخيل والوحوش والحمام والحيات والعقارب ولم تكن تلك الكتب الا بمثابة ابحاث لغوية ، ومع ذلك اطلع عليها الجاحظ وافاد منها الكثير ١ .

تلك بعض المصادر ، وقد اضاف اليه خبرته الشخصية ، وتجاربه العلمية . وكان ابداً يتطلب اهل العلم والمعرفة ليسألهم ويأخذ عنهم ما يعرفونه ، فيتحدث مع صاد العصافير ليأخذ اخبار العصافير ، ومع الحياتين ليأخذ اخبار الحيات

١- الجامع في تاريخ الادب العربي القديم ، ص٥٥٩

.... وهكذا كان رجل مراقبة وخبرة تحد . وقد لقي الجاحظ في وضع كتابة صعوبات شتى ،

وهو يقول :((صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع منا بلوغ الارادة فيه : اول ذلك العلة الشديدة. والثانية قلة الاعوان ، والثالثة طول الكتاب ، والرابعة اني لو تكلفت كتاباً في طولة عدد الفاظه ومعانيه ، ثم كان من كتاب العرض ، والجواهر ، والصفرة والتوليد والمداخلة ، والغرائز ، والنحاس ، لكان اسهل واقصر اياماً وامرع فراغاً ، لأني كنت لا افزع فيه الى تلقط الاشعار وتلفظ الامثال واستخراج الآية من القران ، والحجج من الرواية ، مع تغرق هذه الامور في الكتب .

٣- اجراء الكتاب :

يقع كتاب الحيوان في سبعة اجزاء ذكرها الجاحظ نفسة اذ قال : ((قد كتبنا كتاب الحيوان ستة اجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذي ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا ....)) واما مضمون هذه الاجزاء فقد فصله عبد السلام محمد هارون ، اذ قال مني المقدمة التي صدر بها طبعة كتاب الحيوان المصطفى البابي الحلبي بمصر : ((وقد يوهم اسمه خصص بالحيوان وما يمت اليه بسبب . ولكن الحق ان الكتاب معلمه واسعه ، وصورة ظاهرة الثقافة العصر العباسي المتشعبة الاطراف . فقد حوى الكتاب طائفه صالحة من المعارف الطبيعية ، والمسائل الفلسفية ، كما تحدث في سياسة الاقوام والافراد ، وكما تكلم في نزاع اهل الكلام وسائر الطوائف الدينية . تحدث الكتاب في كثير من المسائل الدينية ، وفي خصائص كثير من البلدان ، وفي تأثير البيئة في الحيوان والانسان والشجر ، كما تناول الحديث في الاجناس البشرية وتباينها ، وكما عرض لبعض قضايا التاريخ . وفيه كذلك حديث عن الطب والامراض : امراض الحيوان والانسان وبيان الكثير من المفردات الطبية ، نباتياً وحيوانياً معدنيها . تحدث فيه الجاحظ عن العرب والاعراب ، واحوالهم وعادهم ، ومزاعمهم ، كما افاض القول في اي الكتاب العربي ، وحديث الرسول الكريم صلى الله علية وعلى اله وصحبة وسلم ، وكما فصل بعض مسائل الفقه والدين)) . هذا كله فضلاً عن الحيوان الذي تكلم عنه الجاحظ وعن القصص والفكاهات والابيات الشعرية التي نثرها

في جميع اطراف الكتاب . ومن ثم ترى ان للكتاب قيمة كبرى في عالم العلم والتاريخ والادب ، وفضلاً ان الجاحظ اراد ان يظهر به حكمة الله في خلقة .

٤- قيمة الكتاب من ناحيتي الادب والعلم :
كتاب الجاحظ في علم لباس ادب ، وادب موضوعة العلم .
١- كتاب علم : الكتاب علم في موضوعة وفي طريقته . اما موضوعة فقد اتينا على تفصيله ، واما طريقته فهي التحري . والاختبار ، والشك في سبيل اليقين ، والمقارنة وتحكيم العقل ١
أ- فقد تناول الجاحظ موضوعة وراح يعالجه متوخياً التقصي ، فعادته الرغبة في التقصي الى تتبع المصادر من مؤلفات قديمة ، ومن شعرٍ عربيٌ ، ومن آيات قرآنية واحاديث نبوية ، ومن تنقل الى كل مكانٍ يكون للحيوان فيه سلطان ، وقادته الرغبة في التقصي الى تلقط الاخبار . وراح الجاحظ في نزعته المنعزلة ، يقارن بين الاخبار والاخبار ، والاقوال والاقوال ، مناقشاً تارة ، وهادئاً اخرى ، مستغرباً تارة حائراً اخرى ، وقد اراد ان يدعم ما يسمع بالتجربة العلمية فأقام التجارب ، وحكّم العقل في كل ما عمل لان العقل في نظر كل رجل اعتزال هو الحكم والمرجع الاخير ، اذ ان الحواس تخطئ ، والشهادات يشوبها التقصير كما يعتورها النقص ، وقد استعمل الجاحظ اساليب الجدل لكتاب ارسطو وراح بخطئه في امور كثيرة ، ويبين مواطن خطاه ووجوه الصواب ، مقدماً البراهين والحجج ، ذاكراً اقوال العرب واشعارهم ، انه تارة يلوم ارسطو على تقصيره في التحقيق ويقول . ((وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل . وما يليق بمثله ان يخلق على نفسه في الكتب شهادات لا يحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها اشباهه من العلمان)) وهو تارة يعذره ويلوم المترجمين الذين لم يحسنوا نقل فكرتة نقلاً صحيحاً . والجاحظ من اشد الناس نقمة على المحدثين والرواة والمفسرين لانهم طالما افسدوا الحقائق ، وجرو الناس الى الضلال العلمي والمذهبي . وهو كثيراً ما يهاجم في كتابة وينهج في ذلك منهج استاذه النظام الذي قال : ((لا تسترسلوا الة كثير من المفسرين ..... فان كثير منهم يقول يغير رواية على غير اساس.)) او انك تراه امام الاخبار قليل الثقة ،

[١]- الجامع في تاريخ الادب العربي القديم ، ص٥٦١

كثير الشك لعلمه بطبيعة البشر وميلهم الى التحريف والتزيق . في غمرة هذه الفوضى ، وفي زحمة المعارف والتحقيقات لم ينجح الجاحظ من اوهام كثيره ساقت اليها ضعف الوسائل الاختبارية ووفرة الصعاب التي صدت من انطلاقة . ولكنه ادرك ان العلم ((معانيه وتجربة وفرص ومقابلة وتصنيف)) .

فهو يستعين بالحواس ، ويعلم ان الحواس تخطئ ، وان كلمه الفصل للعقل ، شك طريقاً الى اليقين ويقول : ((ولا يعجبني الا قرار يهمنا الخبر .... وبعد فاعرف مواضع الشك .... لتعرف مواضع اليقين .)) [١]

ب- ومن اساليب الجاحظ في بحثة العلمي ان يقيم مقاسات بين حيوان وحيوان ، وان يخلق من المنافسات والمنازعات الكلامية بين صاحب هذا الحيوان وذلك ، الى غير ذلك من ضروب الجدل التي تمشي عليها علماء الاعتزال في عصر الجاحظ .

جـ- واننا اذ القينا النظر على مجمل كتاب الجاحظ نرى ان ذلك الرجل محيط بعلوم عصره وعلوم العصور السالفة ، وهو يسعى بان يكون كلامة شاملاً ، ودقيقاً واقرب شيء ممكن الى الحقيقة . وقد استطاع الجاحظ على ضعف وسائلة ،شيئاً جليلاً في التحقيق العلمي فبين لنا مثلاً كيف تخطئ الحواس ، كما بين غائية [٢]

---

[١]- الجامع في تاريخ الادب العربي القديم ، ص٥٦٢

[٢]- الجامع من تاريخ الادب العربي القديم ، ص٥٦٣

الخاتمة

من خلال الحديث والكتابة عن آراء الجاحظ ، وجدت أن الفكرة التي تولدت لدي عن الجاحظ في دراستي الأولية من أن الجاحظ رجل يتحدث عن الأدب والبلاغة، كانت فكره ساذجة ،لأنه ومن خلال هذا البحث ،تغيرت وأتضح لي أن هذا الرجل الذي عكف عن الدراسة او البحث وقدم للعالم آراء يؤخذ بها ويعتمد عليها في المسيرة التربوية يشكل خاص ومسيرتنا الاجتماعية بشكل عام وقد أتضحت لدي الاستنتاجات الأتية:

أ-لم يدع الجاحظ -رحمه الله -مجالاً من مجالات الحياة إلا وتطرق إليها وبحث فيها بحثاً مستفيضاً

ب-ان الآراء التي توصل إليها الجاحظ وخاصه في مجال التربوي أُثبتت صحتها ومدى مطابقتها للواقع التربوي في وقتنا الحاضر مما يدل على سعه أفق تفكيره .

ج-لقد أعطى لكل من الرجل والمرأة والطفل مكانه مرموقة بحيث جعل منهم وحده متكاملة لخدمة المجتمع

د-دفاع الجاحظ عن المرأة ولد رأيان بأن الجاحظ قد أعطى مكانة اجتماعية مرموقة وكيف لا وهو متأثر بتعاليم الإسلام التي جعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات وأنه لم يدافع عنها مفضلاً إياها على الرجل بل ليذكر الرجال بحرمة النساء .

المصادر والمراجع

١- التربية في الاسلام/تأليف: د. محمد عطية الابرشي /صدار- دار القاهرة للطباعة

٢- التربية المعاصرة ، طبيعتها وابعاده الانسانية / د.محمود شفيق ط١ . الكويت : دار القلم (١٩٧٤)

٣- التربية والتعليم / تاليف محمد أسعد طلس / اصدار - هنداوي للتعليم والثقافة

٤- التربية عبر التاريخ/ تأليف :عبد الله عبد الدائم / ١٩٨٧ /ط١ دار العلم للملايين - بيروت

٥- معجم الادباء /تأليف ياقوت الحموي/ دار الغرب الإسلام / ١٩٩٣

٦- الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم/ تأليف حنا الفاخوري .الطبعة الاولى. دار الجليل – بيروت. البنان

٧- ا لجاحظ ريادة البحث العلمي/ عادل محمد علي (بحث في مجلة المورد العدد الرابع ١٩٧٨)

٨- الجاحظ وعلم اللغة / د. إبراهيم السامرائي (بحث في مجلة المورد العدد الرابع ١٩٧٨)

٩- رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية

١٠- رسائل الجاحظ / الرسائل الكلامية

١١- رسائل الجاحظ / الرسائل السياسية

و ٩,١٠,١١/تأليف ابي عثمان عمرو بن محبوب الملقب بالجاحظ / الطبعة الاولى ١٩٨٧ /بيروت. البنان